أتقن مبدعها التعامل الفذ معها ضمن إطار نظرية النظم التي طرحها عبد القاهر الجرجاني ثم اعتُمدت عالمياً في العصر الحديث – فانه سوف يتمكّن من تطويع الأفكار الصعبة والنظرات الدقيقة ليصوغها الصياغة الجميلة ويطرحها الطرح الرشيق. ولهذا نجحت كثير من آثار الأدباء والعلماء الذين اعتمدوا أساساً راسخاً في علوم العربية المتعددة، في حين تراجعت آثار آخرين – مع أهمية بعضها – بسبب طرحها المشوّه في قوالب جامدة من التعبير تعتمد اللغة المفككة والعبارات الهشّة والكلمات المتنافرة غير الدالّة. وكلما توغلنا في البحث في هذه النقطة وجدنا الصدر الشهيد مالكاً ناصية البيان العربي، مستفيداً من دراساته الواعية للغة القرآن، ومتواصلاً مع آدابها القديمة والحديثة بشتى أشكالها البهيّة من شعر ونثر وفنون أدبية أخرى. ولذلك نجد الشهيد الصدر متمكّنا جداً من التحرك على مساحة واسعة من أنماط التعبير العربي، فلا يدع المتلقّي إلا وقد أقنعه بكل هدوء وسلامة منطق وروحية موضوعية بالفكر التي يتبناها، دون أن يسيء إلى الامانة العلمية في النقل، أو ينزل إلى ما يشين الباحث الموضوعي الواثق بطروحاته، إلى جنب الحيادية الفذة في النقاش. وكمثال على ذلك استخدامه الاستفهام الإنكاري بشكل مقنع مؤثر، ولنأخذ عيّنة من هذا القبيل قوله: (ولا أدري ماذا يقول هؤلاء الذين يشكّون في وجود اقتصاد إسلامي أو علاج للمشاكل الاقتصادية في الإسلام، ماذا يقولون عن عصر التطبيق في صدر الإسلام؟! أفلم يكن المسلمون يعيشون في صدر الإسلام بوصفهم مجتمعاً له حياته الاقتصادية وحياته في كل الميادين الاجتماعية؟! أفلم تكن قيادة هذا المجتمع الإسلامي بيد النبي والإسلام؟! أفلم تكن هناك حلول محددة لدى هذه القيادة يعالج بها المجتمع قضايا الإنتاج والتوزيع ومختلف